تجليات المركز والهامش
في رواية رأس المحنة

أ.د/ تبرماسين عبد الرحمان
جيجخ صورية
جامعة بسكرة – الجزائر

أولا: المكان بين المركز والهامش

يؤدي المكان دورا مهما في الرواية « فالأماكن بأحداثها وأجوائها و بذكرياتها ومواقعها الجغرافية، قرب أَثَرٍ أو نهر أو ريف أو ملعب صِبا تؤثر وتثير مكامن الأسى أو الشجون أو لواعج الغرام، بحسب مالتصق بها من غبار سنين الذكريات الحلوة أو المرة»[1].

والرواية التي بين أيدينا تحيلنا إلى مكانين بارزين هما: القرية والمدينة؛ فالقرية لها إيجابياتها وسلبياتها، كما للمدينة أيضا سلبيات وإيجابيات، وكلاهما يؤثر نفسيا على المبدع ويخلق لديه صراعا داخليا، وحب انتماء للأولى على حساب الثانية أو العكس، والفرق يختلف بين مبدع وآخر، فمن المبدعين من ينتصر للقرية على حساب المدينة والعكس صحيح أيضا. والفرق بين القرية والمدينة هو الذي يخلق هذا الصراع الدرامي الأدبي الأبدي.

وللمكان حضور قوي في نص رواية "رأس المحنة" من بدايته حتى نهايته؛ فالقرية والمدينة تتجليان وراء خلفية الصراع بشكل لافت إذ الفرق شاسع بين عالم المدينة الصاخب الملوث بالخيانة والغدر والنفاق على الرغم من أنها تحتوي على المرافق والمراكز الثقافية في مقابل القرية القابعة على هامش الحضارة والتطور، فهي بدائية ونائية.

فالمدينة (المركز) تستحوذ على كل شيء، المدارس والجامعات، والمستشفيات، والملاعب الرياضية، والجمعيات المختلفة و مناصب العمل. كل هذه المرافق دفعت "**صالح**" إلى الرحيل صوب المدينة مضطرا تحت ضغط ظروفه وإلحاح أصدقائه.

وما سفر "ذياب" إلى العاصمة لإكمال دراسته بمعهد الصحافة ليشتغل بجريدة "الشروق" حيث يقول : «سأوظّف صحفيا بجريدة الشروق». [2] إلا صراع بين القرية والمدينة.

وكذلك كان انتقال الجازيه إلى سطيف لمزاولة دراستها بمعهد شبه طبي هو نوع من الصراع النفسي والمقاومة من أجل إثبات الذات التي يتنازعها المركز والهامش.

لقد أصبحت المدينة مكانا للحضارة والسعادة، إلا أن رحيل "صالح" إليها يكشف لنا كل ما هو مستور فيها. وكم حاول "السعيد" إقناع "صالح " بأفضلية المدينة على القرية إلا أن هذا الأخير بقي مترددا، فيثيره السعيد بنداءاته: «يا صالح مالك لا تريد أن تتبدل»،[3] ويلح عليه أن المدينة رمز للسعادة وهي القادرة على حمايته وأسرته من الضياع، مؤكدًا «هكذا ستضيع وتضيّع عائلتك وأولادك، لابد أن ترحل إلى المدينة. من حقك أن تعيش سعيدا" [4]، ولا يكتفي بهذا بل يثني على المدينة لما فيها من مزايا: « هناك يا صالح في المدينة، الماء والكهرباء والغاز والجامعات والمشافي والطرق المعبدة». [5]

تأمل أيها القارئ كيف تتبين الهوة والفارق بين المدينة (المركز) والقرية (الهامش) في قول "السعيد" وهو يدخل المترل الجديد في المدينة الذي سيسكنه "صالح": «أنظر يا صالح يا أخيّ كل شيء موجود .. الماء، الكهرباء، التدفئة، المرحاض، البلاط و الطلاء.. كل شيء، خلصك الله من التعب والشقاء والبهائم والبراميل وسقف الحلفاء والديس.»[6]

ونستشف من هذا تمركز كل وسائل الراحة في المدينة التي استأثرت بكل شيء، في مقابل القرية التي تعيش في الهامش، ويحيى أهلها في فقر مدقع وحياة بدائية بسيطة. وبعد انتقال "صالح الرصاصة" إلى المدينة يستقر بقلبها، إلّا أنه لا يستطيع التأقلم معها، فهي عالم آخر مختلف عمّا ألفه، وتواجهه مشاكل تنتهي به إلى الطرد من عمله بالمشفى، والمترل الوظيفي التابع له.

فالمدينة مشحونة بالاضطرابات واللاّ استقرار. يقول "صالح": «أنا أخاف المدينة، المدينة عاهرة فاجرة ستفسدني وتبدلني وتغيرني و تشنقني، المدينة يا ناس قذرة وسخة ستوسخني». [7]

ويحضر التقابل بين المدينة والقرية بشكل ضمني في قوله: «المدينة كابوس يجثم على صدورنا، والأجواء فيها مكهربة... لا تطل على الناس إلّا بالفجائع...أكثرهم يلهث خلف الدنيا ولو مقابل أرواح الأبرياء، ولو مقابل عزّة هذا الوطن ».[8]

ألا تلاحظ بأن البطل يختنق من أجواء المدينة ولا يستطيع مسايرة إيقاعها المتوتر الذي يرهبه ويفجعه؟ يقول: "بدت لي المدينة وأنا أشاهدها منذ خمس وعشرين يوما رهيبة... كل شيء فيها مفزع.. ليست إلاّ حجزا كبيرا.. سجنا ضخما مرعبا".[9]

ويتواصل الوصف السلبي للمدينة من خلال قول "صالح": « من يقف معي في هذه المدينة المتوحشة، الأزقّة ضيّقة، الجدران سوداء مفعمة بالجرب، كلاب راقدة قريب منها قطط ... لحظات شاهدت سكران يتبول على الطريق، لحقه آخرون معربدون رائحة الخمر تملأ الهواء ... كل شيء متعفن سجن في سجن»[10] إنه لموقف كئيب وقع فيه هذا البطل، موقف يعكس رؤية المبدع للمدينة بمنظار الكشف عن المستور الذي يؤرقه، ويوقظ في نفسه صراعا دراميا مريرا، يلعن فيه مثل هذه المدن. يقول: « عليك اللّعنة أيتها المدن الكبرى يامن دنّست عذريتنا».[11]

لقد داست ودنست المدينة كرامته وشرفه خلافا للقرية التي يقول عنها وعن ترابها: « هذا التراب يعطي سخاءا، ولا يأخذ أبدا ».[12] ويردف قائلا: « كل شيء جميل، وليس هناك مكان للنفاق والخديعة ولا للزيف والمكر»،[13] فهي عروسه الجميلة المعطرة المطوية في ثوبها المغري، « القرية ... آه تذكرت القرية ... خيّل إليّ أنها في فستان فرحها تفتح ذراعيها وتحرّضني على الارتماء في حضنها الدافئ".[14]

هذا القول يبعث في نفس المتلقي أن المبدع متعاطف مع البطل "صالح" وأنه من عشاق القرية والريف بل من المنتصرين لهما.

لاحظ كيف يأتي التقابل – أحيانا– في جملة واحدة عبر تقابلات مكانية توضّح الفارق وتبرز الفجوة العميقة بين المدينة التي تحتل المركز، رغم كل سلبياتها ونقائصها والقرية التي في الهامش.

فـــ: هابيل يزرع الحياة ⟸ القرية

قابيل يزرع الموت ⟸ المدينة [15]

كما تنقسم المدينة إلى الأحياء الراقية التي يعيش فيها ذوو النفوذ والسلطة والمناصب العليا أمثال "امْحَمَّد امْلَمّد" و "سي سليمان ". وأخرى فقيرة مهمشة خالية من وسائل الحياة الأساسية، تعاني من انعدام الكهرباء وقلة الماء الشروب والصرف الصحي. يقطنها الفقراء والضعفاء كـــ: "**منير، عزيّز، عزوز، العجوز عكة**..." وعليه تشكل لنا ثنائية ضدية تتمثل فـــي:

-الأحياء الفقيرة " حارة الحفرة " و "الأحياء الراقية البرّاقة" هذان المكانان متصارعان ففي " **الحفرة** " نموذج جلي عن واقع التهميش في الجزائر. فالتهميش يبدأ انطلاقا من التسمية، فاسم الحارة يحيلنا على المضمون. فيقول "منير": «بتّ أقلب دفاتر حارة الحفرة ورقة ورقة أقرأها سطرا سطرا، أفتش خلف حروفها حرفا حرفا، لماذا هي حفرة وليست ربوة؟».[16] لأنها تشبه الخراب أو هي الخراب عينه، إلّا أن «الكبار عندنا يقصون أنها كانت أرفع مكان في الجهة كلها وكانت تحفّها الغابات والأشجار المثمرة، وتتفجر خلالها الينابيع الدافقة، وصار الكبار يحكون عنها حيث زلزلت بفعل لعنة حلت بها، وصار الكبار يؤمنون بهذه الأسطورة»[17]. لكن منير يستطرد قائلا: «أم أن الأمر لا يعدو أن يكون سطوة الجبّارين على الفقراء الضعفاء»[(18)]، وهو هنا يحيلنا على هيمنة المركز، والأماكن الراقية التي استأثرت بكل شيء جميل، وتركت الأطراف تغرق في المشاكل والفقر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى أن المركز (قلب المدينة) سلب الأطراف (حارة الحفرة) كل شيء جميل، بحكم قوته ونفوذه وجبروته. «كل الأحياء تزداد رقيا وتحضرا، وتزداد حارتنا تعفنا وتخلفا.. لعلك تلاحظ معي أن كل الذين تشردوا في الجبال هم شباب الحفرة». [(19)]

والسبب يعود إلى إغفال السلطات لمشاكل الحارة واحتياجاتها، ومختلف متطلباتها الحياتية، وعدم رعاية مصالحها، فالحارة لا تحتوي على مرافق خدماتية أساسية، و شبابها يعاني من الفراغ والبطالة، قد طال انتظارهم لساعة الأمل والانفراج، وأصبحوا عرضة لمختلف الآفات الاجتماعية؛ انغمسوا في الرذيلة بكل أصنافها ومارسوا التسكّع في الشوارع والمقاهي بمختلف أشكاله. وهذه الصور من صور التهميش تمثل قمة التهميش المتجذر في المجتمع، أمّا بعضهم الآخر فقد اختار الانضمام إلى الجماعات المسلحة الموزعة عبر الوطن، انتقاما من الذي أقصاهم وهمشهم، لكن هذا الاختيار ليس بالموقف السليم لأنهم حكموا

على حياتهم بالإعدام. ان كانت هذه الفئة قد فرّت لتنتقم لنفسها، أو لتعيد لنفسها حقها، فإنها قد أخطأت الطريق، ووقعت في هامش أوسع وأسوأ من الذي كانت فيه، فحارة الحفرة نموذج عن واقع الرّيف والقرية والأطراف الجزائرية، وعن كل ماهو مسكوت عنه، فهي بؤرة للتهميش في جميع النواحي.

يقول "**امْحَمَّد لْلَمَّد**": «انطلقت أنحدر من حيّنا الراقي إلى حارة الحفرة ... بدأت الملامح تتغير... البنايات، الطرقات.. الوجوه.. حتى الهواء راح يتعفن... والجوّ يختنق غبارا»[20]، ويضيف: « بدت حارة الحفرة وأنا أطؤها أبشع وأوطأ(...) إنها تزداد كل شهر غرورا ودناءة، بل وتوحشا».[21]

نستشف من أقوال "امحمد لمامد" الذي كان لا شيئا، وصار يقطن حيا راقيا نظيفا، خلافا لما هو عليه حال "**حارة الحفرة**" التي لا تعني دلاليا سوى القبر أي ما يؤكد لنا الوضع المزري لـــ "**حارة الحفرة**"، وحالتها التي يرثى لها وما آلت إليه، في مقابل أحياء الأثرياء وذوي المناصب الإدارية والسياسية التي تزداد رقيا وجمالا.

إن الثنائية الضدية: **الحي الراقي/حارة الحفرة** هي التي أثارت "**امحمد لمامد**" ليشعر بالتقزّز والغثيان وهو يدخل "**حارة الحفرة**"، فشتّان ما بين الحيين: "**الحي الراقي**" و"**حارة الحفرة**" فتعبيره بفعل " **أنحدر**" يدل على حدوث النزول من سماء الرقي وقصره العالي إلى أسفل سافلين، حيث الأوحال والبرك المستنقعة، والمسحوقين والمغلوبين على أمرهم. إن سيادة الأنا في الجملة الفعليّة "**انطلقت، و أنحدر**" من حينا تبرز ظاهرة الاستعلاءوالتكبر بشكل لافت وهو ما يتردد صداه في قول عبد الرحيم: « واندفعت بعيدا أخرج من حارة الحفرة أرتفع إلى مركز عملي المتواجد بقلب الحي الجديد».[22] فقلب المدينة استأثر بكل المراكز وبالمقابل يزداد وضع الحارة تأزما، ليس مع الروائح الكريهة المنتشرة فيها، وإنما مع الفقر والتهميش وما يترتب عنهما من أمراض وآفات اجتماعية «بمجرد أن فتحت النافذة، لفحتني نسمات حارة مفعمة بالروائح الكريهة العفنة المنبعثة من انفجار قنوات القاذورات، وداهمتني زوبعة ترابية أثارتها أقدام الصبية الحافية العارية»، هذا هو حال الأحياء المهمشة، وأحياء المحيط أو أحياء الصفيح التي يلفها البؤس والشقاء كحال "**حارة الحفرة**" وسكانها، التي لا توليها السلطات المعنية أي اهتمام، سواء تعلق الأمر بالنظافة أو بالمرافق الجوارية، أو

بتوفير الشغل، وما لعب الأطفال حفاة عراة إلّا دلالة على تدني مستوى المعيشة، وقلة الدخل الفردي؛ إن لم نقل انعدام الدخل لدى سكان مثل هذه الأحياء كـــ"**حارة الحفرة**" التي تفتقر إلى أبسط الخدمات كالنظافة والانارة، «نور شاحب ينبعث عليلا من النافذة إلى الشارع الذي يفتقد للإنارة. »[23]

كل هذه الأسباب تتظافر لتشكل ظروفا غير صحية، تؤدي بقاطني هذه الأحياء إلى الهاوية، وهكذا تستمر النظرة السوداوية ... إلى المدينة من قبل أبطال الرواية الذين عانوا من سيطرتها و أنانيتها، فقد أخذت منهم كل شيء.

يقول "صالح": «لم أعد أثق بالمدينة، أخذت منّي كل شيء و لم تعطني شيئا واحدا».[24] ولاحظت الجازيه حين دخولها المدينة بداية تغير كامل « فالطرق معبدة، أشجار كبيرة مغروسة حديثا(...) مصابيح أعلام (...) أخبرتها أن الشائعات تقول أن رئيس الجمهورية سيمر هذه الأيام من هذه الطريق، وهذا ما دفع بالمسؤولين إلى العمل ليلا ونهارا». [25] ولذلك تقول "**الجازية**": «لا شيء تغيّر (...) وما عسى الأصباغ تفعل لعجوز شمطاء» [26]

فكل هذه الأفعال الاستعجالية والحيثية تحيلنا إلى الزيف والنفاق، فالمدينة تحفل بالشعارات الفارغة الجوفاء، والصراعات من أجل السلطة، وهذا ما جعلها تفقد توازنها وتدخل في فوضى عارمة، فالبطل "**صالح**" يرى أن المدينة فضاء من الإحباط والانكسار، وصار الموت يحاصر كل الأمكنة والشوارع والغابات، ليصبح مألوفا، فالمدينة تشهد كل يوم القتل والسرقات والتخريب وكبت للحريات، وراح الموت يزحف ليشمل كل الأمكنة*

«فتحت جريدة الشروق اليومي* ... أول عنوان صادفني هو مجزرة في **المدية**... اختطاف سيناتور في **تبسة**، اغتيال رئيس محكمة **بباتنة**، و دركيّين بـــ: **بلعباس**، قوات الأمن تقضي على عشرين إرهابيا في جبال **بابور وبوطالب وبرحيل** [27] **».**

فالجبال التي كانت بالأمس مركزا للثوار ضد الاستعمار الفرنسي ومنطلقا نحو الجهاد والتضحية في سبيل الوطن، أصبحت اليوم مركزا للإرهابيين ولمن يبيحون دم الأبرياء.

إن مشاكل حارة الحفرة صارت لاتعد و لا تحصى، وليس من السهل التصدي لها مطلقا، اختفاء "الحلوة"، اغتيال "عبد الرحيم"، انطواء "إبراهيم"، فرار أبي "الصالح" قتل عمي "الهاشمي" وابنه بعد صعود ابنه "صلاح الدين" إلى الجبل...

هذه الأحداث كلها من صنع السياسة، ومن سياسة اللا توازن والتهميش، وغياب الحكمة في التسيير، وعدم الاهتمام بالرعية.

«الأبرياء يذبحون كل يوم بالمئات فالحقيقة ساطعة أمام الجميع ولا يخفيها عنا إلا المسؤولين الذين سكنوا القصور وأحاطوا أنفسهم بالدبابات وآلاف الجنود، تاركين الشعب لإرهاب أعمى جبان يلتهم كل شيء» (28) هذا ما يقوله الراوي.

فالمركز قادر على حماية نفسه، و لم يسع إلى توفير الحماية لغيره في الأوقات الحرجة بالشكل اللازم، أمّا أهل الحارة المهمشون، فلا يستطيعون حماية أنفسهم، إنهم يعيشون حياة مضطربة كلها هواجس مليئة بالخوف، والبؤس والشقاء.

هكذا تدفع المدينة بالبطل **"صالح"** إلى أطرافها " **حارة الحفرة** "، بعد ما جرعته المرار، ويدرك أنه لم يعد قادرا على تحمل المزيد من الضربات، فيفر منها إلى القرية حيث الراحة النفسية، والسمو الروحي في موطنه الأصلي، فعلاقته بالأرض قوية ومتينة، وكل ما في المدينة جعله يصاب بالذهول والهذيان.

–السجـــن:

حضر في الرواية بدلالة عكسية ومغايرة لما هو متعارف عليه، فالسجن عموما مكانا للمجرمين وعقوبة لمن يخالف القانون، إلّا أن الكاتب وظفه كمكان للإقصاء والتغييب والتهميش، فقد تمكن "**امحمد لملمد**" عن طريق نفوذه من ملاحقة المثقف **"منير"**، ورميه في السجن، لإقصاء دوره في الحياة، ونبذه أيضا ليصير مهمشا، يقول "منير":

«حين دخلت مخفر الشرطة قرأت على ساعة الجدران ... الساعة الثانية ... كان الصمت يقمِّط المدينة النائمة» .(29)

فـــ"امحمد لملمد" الذي لا يفقه شيئا يستطيع الزجّ بمثقف كـــ "منير"في غياهب السجن كي لا يزعجه، وكي لا يثير وعي الآخرين.

يضيف "**منير**": «أدخلوني خلف قضبان حديدية وطلبوا مني أن أنام إن أردت.. وانصرفوا.. أردت أن أستفسر عن سبب كل ما فعلوا لم يمنحوني فرصة.

درت على نفسي في ذلك المكان الضيق ... متر ونصف على مترين، أرضية مبلطة جدران متسخة.. عليها كتابات.. وآثار لمحجوزين مرّوا من هنا مجرمون أم أبرياء شرفاء؟ ... لست أدري ». (30)

هكذا يحضر السجين والسجن بدلالة عكسية حيث يعتقل الأبرياء كالمثقف "منير" ولا يلقى القبض على المجرمين والمستبدين كـــ"امحمد لمامد" لنفوذه الواسع، الذي يغطي جرائمه وماله الذي يشتري به الذمم.

- **المستشفى/ المشفى**:

هو مكان عام يعتني فيه بالمرضى ويسهر على راحتهم وتقديم الخدمات لهم. وهو رمز لرعاية الصّحة، غير أن المشفى يحضر في الرواية بمعاني سلبية، فهو مكان مناسب جدا للاستغلال والاستفادة ممّا فيه، وتقديم الخدمات المجانية لمن لا يستحقها، فمديره جعل منه مصدرا للنفوذ، وبلوغ المآرب، وتحقيق الغايات والمصالح الشخصية، « يملؤون له السيارة بخيرات المستشفى ... لحوم ... حبوب ... خضر ... مشروبات.»(31)

ويضيف: « أما المرضى المساكين فلا يعطى لهم سوى العدس بالماء » (32)

فالمشفى كمكان وكمؤسسة عمومية مهمش يفتقر إلى أبسط الأشياء كالنظافة وانعكست هذه الحالة على المرضى لذلك فهم مهمشون ومنسيون ومهملون، ولا من يبالي بحالهم، فأولو الأمر في هذه المؤسسة يتحايلون على المرضى ويتلاعبون بحياتهم.

يقول "**صالح الرصاصة**": «شممت رائحة الدخان ... فدفعني الفضول وهبطت إلى الوادي، كانت المفاجأة كالصاعقة مئات العلب ملآنة دواء مكوَّمة ومحروقة "(33) ويواصل "**صالح الرصاصة**": «كادت النار تقضي عليها قلبنا بعضها، هذا الدواء كله غير صالح للاستعمال » (34) فالمشفى يمثل قمة الاستهتار بحياة الناس والمرضى ولما حاول "**صالح الرصاصة**" فضح هذه التجاوزات اتهم بالجنون فأقصي وهمش. « فصلوني عن العمل ...

طرقت كل الأبواب اشتكيت للمسؤولين كتبت للجهات الرسمية وغير الرسمية كلهم اتفقوا على أنني مجنون» (35)

ونخلص إلى أن وظيفة المكان في هذه الرواية لا تتوقف عند حدود الوصف بقدر ما كان غرض الكاتب الكشف عن المستور، وعن عيوبه التي تسبب في إيجادها ذوو الجاه والسلطان، و ما غيّب عبر التاريخ كان أفضح وأفضع.

فتحول المكان من موقع للرحمة إلى موقع للقسوة، ومن موقع صنع البسمة والسعادة للضعفاء إلى موقع لصنع المأساة والضجر. أي قبح هذا الذي يمارسه ذوو النفوذ عندما يستولون على كل شيء وعندما يعتلون منصة المركز. إنهم يختزلون كل القيم ويجعلونها في خدمة ملذاتهم، وإشباع نهمهم المادي الذي لا ينقضي، وفي تهميشهم للأغلبية من أفراد المجتمع.

وما حارة الحفرة إلا نموذج حيّ للقرى والأرياف والأطراف المهمشة في ربوع الجزائر التي تتجرع مرارة الإقصاء والاستبعاد، وكأنها لم تستقل ولم تتحرر من ربقة الاستدمار الفرنسي. فالكاتب عبْرَ تصويره للأمكنة يكون قد فضح حقيقة تهميش الريف الجزائري وصوّر لنا نماذج حية من البؤس والضياع جراء هذا التهميش الذي مورس عليه. هكذا صور لنا الكاتب وضع هؤلاء التعساء الذين فرض عليهم التهميش، فبقوا خارج دائرة الضوء، يصارعون الفقر والحرمان.

ثانيا: ديناميكية الزمن وفعل التهميش

للزمن نبض خاص ومميز، وحضور شديد الأهمية في الرواية، لأنه يضفي عليها دينامية خاصة، ويدمغها بطابع الأحداث التي تشكل وتؤلّف مشاهد وصور تساهم في تنمية هذه الأحداث، وتقريبها للأذهان لتشكل الفكرة أو الأفكار التي يريد المبدع بثّها ونشرها في الوسط الاجتماعي، فيناجي ذكريات الماضي لتتعانق مع الحاضر، وتستشرف المستقبل، ولذا فللزمن صدى وإيقاعا في إثارة هذه الدينامية أو تشكيلها، ومن هنا « فهو ملهم مثير محرض، يفتح كوامن الذاكرة، و يتفاعل مع الروح» (36) البشرية مدًا وجزرًا.

إن القارئ الجيّد للرواية يدرك أنها تتوفر على عدد من المفارقات، أساسها الأحداث التي تشكلت عبر الزمن وهي:

أ – زمن الثورة/الراهن الجزائري[**]:

وتنطلق هذه المفارقة من شخصية البطل "**صالح الرصاصة**" المخضرم، الذي عايش الفترتين زمن الثورة على العدو/ زمن الإرهاب ضد أبناء الوطن، إلّا أنه لم يستطع أن يندمج مع الحاضر الذي أقصاه وهمشه، بل وغيبه. يقول مخاطبا الشهداء وقلبه يترف حسرة على وضعه وحال الجزائر:« لم تركتموني وراءكم وحدي...حرام عليكم... لم هربتم عليّ؟» (37) الأكيد أنه لم يفز بالشهادة مثلهم، وإدراكه للوضع الذي آل إليه البلد زاد من تحسّره، ويتمنى لو مات في الثورة على أن يبقى حيا وشاهدا على ما آل إليه الوطن من تعفّن وما يعيشه (هو) من ذلّ، «كان علي أن أموت حين مات رفاقي في الثورة...حين مات الرجال الكبار.... لقد خلقت من أجل أن أضحي فقط أما أن أغنم فهذه لم أعرفها» .(38)

ويحنّ "صالح" إلى زمن الثورة، زمن النقاء والنيّة الخالصة والصفاء. زمن الرجال حين كان الرجال رجالا. فالزمن الراهن قضى على جميع القيم ومسحها، بل مسخها. في الماضي القريب كان "**صالح الرصاصة**" ذا قيمة وأهمية لمساهمته في ثورة التحرير، ولبطولته وشجاعته واستبساله في ميدان المعركة يقول: « كان عمري إذ ذاك تسعة عشر عاما... أول معركة خضتها أسماني الإخوة* صالح الرصاصة، جريت ثلاث كيلومترات على نفس واحد كي أحذر المجتمعين من قوات العدو التي حضرت كي تحاصرهم، ورغم الرصاص الذي كان يتهاطل عليّ كالنوء، إلا أنني وصلت قبل جنود العدو وأنقذت المجموعة، ذلك اليوم أسماني الإخوة صالح الرصاصة» (39) أما في الزمن الراهن "**زمن الاستقلال**" فقد همّش واستبعد لتتبخر أحلامه الثورية وتتكسر على ساحة الواقع، «خسرت كل شيء .. المال والجاه والسلطات والاحترام والتقدير، حتى الاسم خسرته و هو رأس مالي .. سميتموني صالح الرصاصة.. اليوم أسموني صالح المغبون و آخرون أسموني صالح» (40). أيّ غبن آل إليه هذا المحارب الأصيل الملقّب بالرصاصة. لاحظ كيف يقارن حاله الراهن المهمش بالماضي المجيد.

يقول: «أنا الذي كان الجنّ يخاف مني .. العفريت ترتعد فرائصه لمّا أطلّ .. أنا الآن يا إخوان صالح المغبون أنا الآن يا إخوان صالح المغبون» .[41] إن للأنين لصدى ورجعا من نون المغبون.

فـ"**صالح الرصاصة**" يفر من مرارة الراهن إلى مجده الماضي محاولا الالتحام به. ويهرع إلى مقبرة الشهداء، « لم تركتموني خلفكم، لم يبق غيركم ألجأ إليه .. اسمحوا لي سأنام، سأنام الليلة هنا وسطكم ... والله لن أرجع إليهم مطلقا .. تنازلت عن كل شيء ...أعطوني قبرا لألحق بكم ... أعرف أن الأمر صعب...أنتم أحّبكم الله، و أنا قعدت لهذا الزمن الخبيث» .[42]أي مآل آل إليه هذا الرجل المكافح، يطلب الموت ولا يجده.

ويبدوا جليّا أن ما يعيشه البطل من التهميش والإقصاء وطغيان المركز وإهماله لأمثال "**صالح الرصاصة**" يدفعه إلى الإبحار في **سرادق** الذاكرة والنهل منها، فيحس بالأمان والاطمئنان فتعمل الذاكرة على إمداده بالذكريات الحميمة.

فالزمن الماضي لم يكن زمنا عاديا بل كان تاريخا. شهد أعظم ثورة في التاريخ المعاصر هي ثورة التحرير الجزائرية التي حطمت أعتى قوة استعمارية في العالم قوات فرنسا والحلف الأطلسي. و قد عايش هذا البطل كل أحداثها العظيمة؛ بل شارك فيها بالنفس والنفيس، ليدرك نفسه في نهاية المطاف بأنه على حافة الحياة، إن لم نقل على حافة الهامش. فحاله المزرية تبعث على الألم والحزن، يقول متحسّرا: «هل خدعونا حين أوهمونا أننا انتصرنا على الاستعمار» [43]، ويصرّ "صالح" على الارتماء في أحضان الماضي، والهروب من الراهن وواقعه الذي لا يرحم، يقول مناجيا ربّه: « يا رب لم تركتني لهذا الزمن الحقير؟ يا رب لم خلفتني لهذا الجيل المنحوس؟» .[44] لقد أفسد الحاضر تضحيات الماضي و لم يستثمرها كما خطّط لها مفجّروا ثورة التحرير أو على الأقل كما كانوا يتصورون أن تكون عليه الجزائر في حرية وازدهار.

إن احتفاء "**صالح الرصاصة**" بماضيه المجيد واسترجاعه لذكرياته وبطولاته جعله لا يستطيع التأقلم مع الوضع الجديد. فيقع في مشاكل عدة سببت له الإهانة والطرد فحن إلى القرية التي ألفها وترعرع فيها، فهي المكان الذي رأى فيه النور لأول مرة على أديمها، وشهدت أحزانه وأفراحه. فبقاؤه فيها يعني الوفاء للشهداء و الماضي لأنها تذكره بذلك، وارتباطه بها هو نوع من التواصل مع الذاكرة. فمركزية الماضي في وعي "**صالح الرصاصة**" حقيقة بارزة، حيث لم يستطع الإفلات من هيمنة الماضي الذي يمثل له الصبا والفتوة والمقاومة والأيام الجميلة مع رفقاء الجهاد.

« كل شيء كان جميلا و رائعا و ليس هناك مكان للنفاق و الخديعة و لا للزيف والمكر... كسرة الشعير و طاس اللبن كانا طعامنا جميعا... عشرة ... عشرون ... ثلاثون، ليس بيننا جوعان... نرقد كلنا في فراش واحد.. مخدة واحدة .. حائك واحد.. و قلب واحد .. الحب ينثر فوق رؤوسنا أكاليل الورد ...» [45] ويتذكر "**صالح الرصاصة**" مشاعر الأخوة والاتحاد و الإيثار،« لما ثار الشعب ضد المحتل كنا كلنا سباقين ... كل واحد يسبق الآخر ... ويسبق حتى نفسه لأننا آمنا بصدق و بعمق أن أرضنا عطشانة.. وما يرويها غير الدم ».[46]

لتكون الذاكرة الملاذ الحنون الذي يهرع إليه "**صالح الرصاصة**"، ويفضل المكوث فيها روحا ووجدانا، ويتضاعف هذا الشعور كلما فطن لحاله في الراهن المتمثل في اللاّ استقرار، واللاّ توازن، فيحاول "**صالح الرصاصة**" الاحتماء بماضيه وذاكرته أمام فراغ الحاضر وهيبته و خيباته المتكررة. سعى إلى تجاوز الراهن بالعودة إلى الوراء، والتوغل في أحداثه المثيرة، ليعيش على الأحلام التي قتلها حاضره، بإقصائه و تغييبه و تهميشه.

وما تذكر البطل "**صالح الرصاصة**" لماضيه المشرق إلّا هروبا من الحاضر الذي يحس فيه بالنفي والاغتراب، وإبراز اختلال ميزان الحاضر في المقابلة بين جيل الثورة الذي استطاع تحرير البلاد، وطرد المستعمر الفرنسي، وبين جيل الراهن المستسلم الذي تغلبت عليه المشاكل، وتهاطلت عليه المآسي، ليسقط جريحا ذليلا. فهو عاجز عن تغيير واقعه المأساوي.

يقول مخاطبا الجيل الذي جاء بعدهم: « جيلنا أدّى واجبه .. جيلكم جيل منهزمين لم يواصل المسيرة .. الدور لكم الآن .. أما نحن..» .[47]

يقصد أنهم أدّوا واجبهم؛ لكن الأحداث الواقعية تبين أن الذين بقوا أحياء لم يتخلصوا من عقدة الثورة، و لم تكن لهم الشجاعة لتسليم المشعل لمن بعدهم.

و"**عبد الرحيم**" نموذج للشخصية التي لم تتقبل الواقع فأراد الهروب منه، « ما معنى أن أحيا إذن ؟ لا يمكن أن أفكر في الانتحار على الأقل بسبب الوازع الديني الذي يعدُّ كل قاتل لنفسه كافرا! آه حين أتمكن من عبور هذه البحيرة الزرقاء... عندئذ سأصرخ في التعاسة ... لك الويل اذهبي إلى غير رجعة [...] حدثته عن رغبتي الملحّة في أن أعبر البحر.. لا بد أن أسافر إلى فرنسا». [48] لقد ضاقت بـــ: "**عبد الرحيم**" كل السبل، و لم يعد يتحمل البقاء في هذا الراهن الذي همشه، راهن مليء بالانكسارات و الآلام .. فيسمع صوت والده يصرخ في أذنه: « عليكم اللعنة يا جيل المنهزمين.. تعجزون عن تغيير واقعكم فتحتمون بأعدائكم».[49]

ب–الراهن المأساوي/الماضي الطفولي:

نستحضر هذه المفارقة من خلال المثقف "**منير**" الذي وجد نفسه محاصرا من جميع الجهات، فراح يستنجد بالماضي الطفولي، ويحتمي به من حاضره الدنس يقول: « كانت نانّا* تلحّ عليّ في الحضور على ذهني، وهي تضمني تحت شالها الأبيض، فرخا لم يكسه الزغب، وتعبر الشارع الفاغر فاه إلى مدرسة الحي .. عند البوابة تطلق سراحي..أتعلق برقبتها، لكن أصابعي الصغيرة لا تمسك غير الخمسة الفضية التي تضعها على صدرها، تشد بها جناحيْ الشّال، و تنحني فترسم شفتيها العذبتين على خدي باقة للحب الدافئ.. تشيّعني بنظراتها وأنا أمسك بيد حسناء، و ندخل معا إلى الساحة ثم إلى القسم» .[50]

فالمثقف "منير" كلما أحبطه واقعه استحضر أيام نانّا فارّا من حاضره الذي همشه وأقصاه، فيحن إلى زمن الماضي، زمن الطفولة والحبور، وكل ما هو جميل فذكريات الماضي مفعمة بالمتعة والدفء والألفة، « أعود إلى جوّ الدرس منتبها، على إثر صياح حسناء في القسم وهي تكاد تلمس المعلّم رافعة أصبعها النحيف سيدي .. سيدي .. سيدي...» (51) ويتمنى" **منير**" لو يعود إلى ذلك الماضي الجميل، « ماذا لو عاد بي العمر إلى حضن نانّا، نانّا وحدها تقدر على إنقاذي.. آه أيتها البتول رحمة الله عليك» (52)

ففرار المثقف من نفسه وواقعه وحاضره، إلى أيام خلت، أيام زمان وأيام نانّا الحلوة، سببه التهميش الآني/الحاضر، ممّا بعث في نفسه هذا الحلم وهذه الذكريات « وبتّ أحلم بنانّا، و أيام الطفولة والبراءة والنقاء، تتدافع أجسامنا الصغيرة عند البوابة كخراف تهرع من زريبتها، تثْغو جميعا في حبور الشوق ». (53)

وحين تستمر النكبات التي تساقط على حارة الحفرة، من قتْل عبد الرحيم، واغتصاب الحلوة، وابتزاز الفقراء يتحسر **"منير"** كثيرا ويدخل في غياهب الصمت ويغوص في سرادق الذاكرة، ليهرب من مرارة الحاضر، وقسوة الأيام، « عادت بي الذكرى لأيام الطفولة الرائعة بروعة نانّا .. **ن ا نّ ا**

آه يا دفء نانّا ..يا عشّ نانّا ..يا حضنها ..يا صدرها ..." (54)

يشعر "منير" بالحنين إلى الماضي، ويهفوا إليه، رغم قساوة هذا الماضي حيث «كان الجو باردا .. القرّ ثعبان يتسلل عبر الجدران .. يترع الأغطية .. يخترق اللحم .. يلسع العظم.. الحطب البلوطي يلتهب .. تطقطق تارة .. تخبو شيئا فشيئا .. ينام الجميع .. وحده الجمر الأحمر يبقى مستيقظا يحرسنا.. أتأمله بعيني الصغيرتين .. أخاف أن يقهره ثعبان القرّ.. تجذبني **"نانّا"** إلى صدرها أنسى القرّ والصرّ .. نم يا وليدي، في هضابنا العالية نقول: من تحبه أمه تكسوه في الربيع لأن برده لا يقاوم» . (55)

فالعودة إلى زمن الطفولة ما هي إلّا حنين لاسترجاع الماضي وتعويض نفسي لتجاوز محنة الراهن وأحزانه، فالإنسان عندما يحاصر من جميع الاتجاهات يفر إلى الذكريات، ليتخلص من الضغوطات الخارجية، ويقارن" **منير**" حاضره المتأزم بالماضي الطفولي الذي يحتمي به من حاضره الملوث، «فالاشتياق والحنين يجعل الذاكرة أكثر نشاطا وتحفّزا لاستدعاء أيام الراحة» .(56)

ج– التاريخ العربي/الراهن العربي:

تحضر هذه المفارقة عبر شخصية " **منير**" رمز المثقف العربي حيث يستحضر ماضي الأمجاد والعصر الذهبي المضيء في الماضي في مقابل الحاضر المتأزم المليء بالتناقضات. «وتذكرت البذرة الأولى في الحكم العربي التي بدأت تنبت في الصحراء العربية منذ قرون، حين أعلن أبو بكر الصديق الخليفة الأول في رعيته جميعا: إذا رأيتموني على باطل فقوّموني .. فيقول له عمر: و الله لو رأينا فيك باطلا لقومناك بحد سيوفنا، فيفرح الخليفة أن وجد في شعبه من يجرؤ على ذلك» (57).

فالتاريخ العربي يشهد لهذه الشخصيات التي تعتبر عبرة و نموذجا للسلطة الراشدة و القدوة الحسنة، عكس الراهن العربي الذي يشهد صراعات على كرسي القيادة، و الخداع و الرشاوي والتناحر من أجل السلطة، و لو على حساب الأبرياء، "و تذكرت هذه البذرة حينما قال عمر لأمير جنده في مصر و هو يأمر المصري الفلاح الفقير بضرب ابنه: متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ أما الآن فقد خان الجميع، وحده عمي صالح مازالت تثور ثائرته» (58) فالتاريخ العربي كان حافلا بالسير الحميدة وبالنموذج المثال، كما أنه كان مركزيا، في مقابل الراهن العربي الرديء والمهمش والمشوش الذي اختلطت فيه المفاهيم، وانتفت فيه القيم.

ثالثا: الشخصية بين التركيز والتهميش

تعتبر الشخصية عنصرا فنيا مهما؛ بل أساسيا في كل عمل إبداعي فني، وتتّضح هذه الأهمية من خلال أبعاد الشخصيات الموظفة في رواية "راس المحنة".

فالسارد "الذي هو الكاتب عز الدين جلاوجي" أعطى مساحة كبيرة لشخصياته لتعبر كل منها عن هواجسها ودواخلها ولواعجها بكل حرية وديمقراطية، فابتعدت الرواية عن أحادية الصوت، إلى تعددية الأصوات، هذا ما جعلنا نحس بأن الشخصيات قريبة منا لكونها تفصح عن مشاعرها وأحاسيسها الداخلية، بحوارات ذاتية "مونولوج" استوقفتنا على مدى مصداقيتها ومدى حقيقتها، فسمحت لنا بذلك إلى تصنيف الشخصيات إلى صنفين كبيرين يتمثلان في:

أ-الشخصيات الفقيرة:

وهي شخصيات معدمة تعيش على هامش الحياة، يتقاذفها الفقر والحرمان. تعيش حياة غير مستقرة، إلّا أنّ كلاّ منها اختارت مسارها المناسب لها وشقت طريقا خاصا بها.

- صالح الرصاصة:

وهو شخصية وطنية تحب وتفعل الخير. كان مجاهدا إبّان الثورة التحريرية، وابن شهيد محبّ لوطنه وأرضه وانتمائه، فهو ذلك الشخص الذي لا يحس بالتعب، كما يقول: «أنا أمارس طقوس العمل في هذه الأرض».[59] إلّا أنه وبعد أن تحقق الهدف المنشود من قبل كل ثائر جزائري ألا وهو تحرير الأرض والاستقلال، همش وبقي يعيش في قرية منعزلة وفقيرة، مما اضطره للرحيل إلى المدينة التي يمقتها نزولا عند الأمر الواقع إذ لا مفرّ منه، فأقنع نفسه بالعمل في المستشفى لاعتقاده بأن « صحة هذا الشعب هي صحة هذا الوطن الغالي»[60]. وصالح ما خان وما بدّل فهو دائما ّعلى « نفس الدرب الذي سار عليه المخلصون الأوفياء والشهداء».[61] يفعل الخير، يسعى لتقديم الأفضل خدمة للإنسانية فيزيد من ساعات العمل على حسابه يقول: « أجيء في الصباح قبل الوقت بنصف ساعة، أساعد في التنظيف، وسقي الاشجار، وربما زيارة المرضى، وأزيد العشية بنصف ساعة أخرى أقوم بنفس المهمة[62]» كل يوم يعمل هذا ظنّا منه أنه سيلاقي الشكر والعرفان، إلا أنه كوفئ بعكس ذلك فطرد من عمله لا لشيء إلا أنه آثر الصدق وقول الحق وكشف ألاعيب المدير يقول: « فصلوني عن العمل، طرقت كل الأبواب، واشتكيت إلى كل المسؤولين كتبت للجهات الرسمية وغير الرسمية، كلهم اتفقوا على أنني مجنون و لا أصلح

للخدمة.*» هكذا أهين "صالح" الثائر ابن الثائر وهمش من طرف السلطة وكل من يحوم في فلكها وأصبح صوتا بلا صدى واتهم في آخر عمره بالجنون، وصار يلعن الحرية التي ناضل وكافح من أجلها سنينا طويلة ذاق فيها كل الآلام فـــــ: « لعنة الله على حرية يذل فيها صانعوها، ويعز فيها أعداؤها » هكذا كان يقول ويقرر الهروب من المدينة والعودة إلى القرية ثانية فيقول وهو يناجي نفسه: « أهرب بنفسك أنت ضعيف هؤلاء شياطين أنت لا تقدر على مواجهة هذا الجنس» [63] . يتأثر صالح بما حدث له إذ لم يكن يتوقع ذلك و لم يخطر بباله أبدا فتزعزعه الأحداث وتؤثر في نفسيته ويصاب بالهوس فيصرخ قائلا:« أسكتوا أغلقوا أفواهكم أربعون سنة وأنتم تثرثرون وتتشدقون ونحن ساكتون كالموتى، الآن جاء دورنا ... أعطونا فرصة واحدة، مرة واحدة اسمعوا ما نقول» .[64]

هذا ما يوحي بأن المركز أحكم القبضة على الهامش، محاولا لجم لسانه وخنقه، ليدفنه في دوامة الصمت، ويسكت" **صالح**" فجأة، ثم ينخرط في البكاء فيرفع صوته ويغني بعدما أحاط به اليأس من كل زاوية.

"خليونا ننطق في لعمر مرة
خليونا ننطق في العمر مرة
بالله عليكم حياتنا صارت مرة
واعمارنا راحت خسارة
وانكسرت كي لجرة
خليونا ننطق في لعمر مرة".[65]

فالهامش مغلوب على أمره ومحاصر من طرف السلطة التي فرضت عليه قيودها وألزمته الصمت وراقبته بكل الوسائل وبمختلف الطرق ومارست عليه أنواعا من القمع.

-الجازية:

وهي ابنة "**صالح الرصاصة**". تحيلنا "إلى شخصية الجازية في السيرة الهلالية، وظفها "جلاوجي" كـــرمز: « للتمرد وعدم الخضوع » [66] وهي رمز للمرأة الصبورة المتصدية للأزمات فهي «الغزالة الشاردة كلما أمعنت فيها سهام الصياد ازدادت كبرياء وجمالا وفتنة» [67] ، كما يقول "**منير**" عنها.

ومثال للمحبة، الوفية لخطيبها "**ذياب**" رغم بعده، غير أنها أخلصت له، وتصدت لـــ" **امحمد لملمد**" الذي حاول إغراءها وإخضاعها بالقوة، إلّا أنها رفضته بنفس القوة أو أكثر، وهكذا يتصدى الهامش للمركز رغم نفوذه، فكلما ازداد المركز الذي يمثله "**امحمد املمد**" نفوذا ازداد الهامش في صورة " **الجازية** " عنادا وإصرارا على التحدي، كما مثلت "**الجازية**" الأخت المثالية يقول "منير":

« ما أسعدني والأقدار تمنحني هذه الأخت الرائعة»،[68]كما تتميز "**الجازية**" بالذكاء والحدس القوي« قد كان ظني في محله ... قصدت بيتك مساء وأخذت ما اعتقدت أنه مهم لديك....حوائج نانا...كراريسك ...صورك .. رسائلك ... وبعض كتبك المفضلة ... معذرة لم أستطع حمل كل شيء».[69]

و"**الجازية**" هي أمل الجميع في إنقاذ الحارة، وإخراجها من دوامة الهامش والتهميش، فهي مثال للفئة المهمشة المنتفضة، التي تقف بشموخ في وجه الظلم والمركز المستبد.

« يا الجازيه
بلغ القلب العفن ...
انتفضي .....
حشاشة الروح ترتعش
سويداء القلب تختنق
اقتليه
اشحذي الخنجر المسموم واقتليه
قتلك ألف مرة ...
باع ضفائرك لصعاليك الارض
اقتليه .. و... » [70]

فتغتنم الجازية فرصة انهماك الجميع في حفلة تتويج "امحمد لملمد" رئيسا لهذه المدينة في انتخابات اشتراها فتقول:

« هذا دربك يا الجازيه ....
الدم وحده قادر على غسل العار

ها أنذا أجري

ها عرقي ينساب وديانا حولي

أشده بقوة لا بد أن أغرزه الى آخره حتى المقبض ...حتى مرفقي...لابد أن أراه يتقيأ دما...لابد أن أراه يتخبط كدجاجة مذبوحة كجثة والده العفنة حين ذبحه الرجال الكبار لابد أن أذبحه...في عروقي مازالت تجري دماء الفحولة ... أنظر والدي ... أنظر عبد الرحيم ... أنظر ذياب ... منير ... أمّا عرجونه ... الهاشمي ... حسناء ... عبلة ...عزيز ...

انتفضي حارة الحفرة

أنظريني أطهّرك من الرجس

الأفيون» [71]

وهكذا تنتقم"**الجازية**" لكل هؤلاء المظلومين المهمشين والمنسيين.

« تشحذين القلب ... تشحذين الخنجر... تدفعينه نحو القلب ... تغرسينه فيه... يتهاوى نحوك جثة هامدة» .[72]

"**فالجازية**" تمثل انتفاضة الهامش على المركز، كما أنها مثال للمرأة الجزائرية المتحدية لكل الصعاب والعراقيل، والتي ترفض الخضوع والاستسلام.

عبلة الحلوة:

وهي شابة قاصر بالغة الحسن والجمال، لذلك هام بها كل شباب الحارة، وقد حاولت التخلص من الوضع المزري الذي وجدت نفسها فيه، فراحت تبحث عن متنفس للحياة لتتناسى ماهي عليه، فقد حرمت من أبسط حقوقها المتمثلة في التعليم.

« حين تزوج "**إبراهيم**" زوجته الثانية، أوقف الحلوة عن مواصلة دراستها وهي بعد في الابتدائي ... يجب أن تساعد زوجة أبيها في اعداد الفطائر والشاي ...» [73]

وربما الفقر من أهمّ الأسباب التي جعلت والدها "**إبراهيم**" يوقفها عن الدراسة .

وكي تخرج "**عبلة**" من هذا التهميش النفسي والاجتماعي، راحت تبرز مفاتنها وتهتم بجمالها وأناقتها لتملأ الفراغ الروحي الذي تحس به. « إذ ما فتأت أن كسرت ذلك الطوق عليها، وأصبحت تأخذ زينتها، وتخرج متى شاءت، متنقلة بين الحمامات والحلاقات

والأعراس».[74]يقول "**منير**" موافقا رأي "**عبد الرحيم**" في "**عبلة الحلوة**": « تستحق فعلا أن تكون هذه الحلوة إلهة للجمال والحسن والفتنة ».[75]

فهي حلم كل شباب الحارة، لكن "**امحمد لمامد**" يقضي على هذا الحلم، فينسج حيلة للإيقاع بها، ليحطم بذلك قارب أحلامها البريئة المفعمة بالحيوية، فالمركز "**محمد لمامد**" يخضع الهامش بالقوة "**عبلة الحلوة**" والسلطة تدعم هذا المركز، فرغم تقدم "**عبلة الحلوة**" بشكوى ضد "**امحمد لمامد**" إلا أن السلطة تتغاضى عنه وتغطي جرائمه، فجريمة اغتصاب قاصر تستحق الإعدام، لكن السلطة هنا تساند "**امحمد لمامد**" "المركز" لكونه يمتلك المال والقوة والنفوذ ولا تلتفت إلى الضعفاء المهمشين، بل تزيدهم تهميشا واستبعادا وإقصاء واستعبادا ، فالمركز لا يعترف إلا بالأقوى، ولا مكان للضعيف عنده، فلاحق ولا باطل إلا ما يراه المركز كذلك.

« ماذا يبقى لحارة الحفرة وناسها البسطاء غير أن تنتهك حرماتهم» .[76] ويقول " صالح" معلقا على ما حصل للحلوة « وحاسرتاه ختزير التهم وردة» .[77]

"**فالحلوة**" « بالنسبة لسكان الحارة الشمس التي يتهيبون بها أمام أبناء الأحياء الراقية، حتى إذا افتخروا عليهم بما عندهم من مرافق قالو بتعال: وهل عندكم مثل هذه الحلوة ؟» [78].

فتختفي "الحلوة "من الحارة بعد حادثة الاغتصاب، لكنها تعود لتشارك أهل الحارة في الوليمة.

« قبل أن يصل إلى الأرض تلمحين الشقراء تغرس خنجرها في كبده» .[79]

فالحلوة نموذج للمرأة التي همشتها الظروف، بداية من إيقافها عن التدريس، وصولا إلى الاغتصاب، والعنف الجسدي الذي مورس عليها من قبل "**امحمد لمامد**" وتستّر السلطة عليه، فالسلطة لا تحمي الضعفاء من أمثال "**الحلوة**" ولا يؤخذ لها حقها، لا لشيء إلا لأنها تنتمي إلى فئة محرومة وفقيرة وضعيفة، فتضيع هذه الشابة اليافعة، وتغرق في بحر الفساد، لأنها لم تجد من يأخذ بيدها، ويخرجها من هذا الوضع الذي وجدت فيه.

– منير:

نموذج للمثقف المهمش فهو صوت بلا صدى، غير أنه متمسك بالقيم النبيلة الجميلة التي لم يستطع ترجمتها على أرض الواقع، يحس بالضياع والإحباط، ويقضي جلّ وقته في مكتبته الصغيرة، ويغوص في عالم الروايات، ويبحر في أعماق الشعر، ويغترف من العلم بلا حدود.

« آثرت تلك الليلة أن أسهر، لقد اشتقت إلى القراءة وأنا مدمن عليها، خاصة الشعر والرواية ».(80)

فـــ" **منير**" يعيش على هامش الحياة يهرب من قرّ الواقع الى كتبه للاحتماء بها، فهو يعكس واقع المثقف المهمش والمغيب، بكل خيباته المتكررة. « يا منير متى تفطن لحالك ؟ الناس يعيشون الواقع وأنت تحلم بحياة وسط الأوراق» (81)

هكذا يخاطبه صديقه "**عبد الرحيم**" ويقول أيضا في حوار مع والده "**صالح**":

«ها هو منير متخرج من الجامعة، ماذا فعل بالشهادة التي يحملها؟ لا يكاد يكسب قوت يومه، وها هو "**امحمد لمامد**" أشكال الدابة لا يجيد كتابة الواو الأعور، ويعيش كالملك...» (82)

فالمثقف مقصي، بل أسوأ من ذلك فهو محط سخرية الجميع، « كم رجوته أن يغير المهنة ... كم قلت له: هؤلاء الناس يلهثون خلف ما يملأ بطونهم، لا ما يملأ عقولهم حوّل مكتبتك إلى محل لبيع المواد الغذائية، وسترى كيف تغير حالك.» (83) ويسخر"**امحمد لمامد**" من العلم والمثقف في تساؤل تهكمي قائلا: « وماذا يحتاج الزعيم؟ ليس الشهادات العلمية كما يتوقع بعض الأغبياء، بل المال والفطنة» (84)، ويضيف مستهزئا بالمثقف «منذ الاستقلال إلى اليوم لم أعرف في هذه المدينة رئيس بلدية تجاوز الابتدائي، منير مثقف هل يقدر على قيادة الناس؟» (85)

كل ما سبق من الأقوال يؤكد لنا المفارقة الكبيرة "**فمنير**" رغم امتلاكه للثقافة والشهادة وكل المؤهلات، إلا أنه همش في مقابل"**امحمد لمامد**" وشيخ البلدية السابق، وغيرهم ممن اعتلوا منصة المركز رغم أنهم عديمو الثقافة والمؤهلات، ولم يتوقف الأمر عند حد تهميش المثقف، بل تعداه إلى حصاره وملاحقته "**فمنير**" سجن بفعل مكيدة

"**امحمد لمامد**" لأنه يعرف مدى خطورة المثقف، الذي يمكنه في أيّ لحظة من اللحظات كشف أباطيله وخدعه، لذا وجبت محاربته، والزّج به في غياهب السجون؛ كي لا يقف عقبة في وجه "**امحمد لمامد**" وأمثاله، فنصب المكائد وتغييبه هو الحل. ويعبر "**منير**" عن ذلك قائلا: « ما معنى أن تنتهك حرمة الانسان ليلا ...؟ ويجر من بيته إلى الحجز؟؟ **!!!** ويرمى فوق بلاط بارد...؟ يا للجنون ؟؟؟؟» [86] إلّا أنه يخفف على نفسه عندما يتذكر ما حصل للمثقفين وما تعرضوا له من قبله، « ليس الأمر جديدا.. الكثير من السجون العربية تئنّ بآلاف المثقفين لعشرات السنوات ... دول عربية عريقة بحجم بابل أفرغت من كل مثقفيها، لأنهم أبو أن يسبحوا للآمر الناهي فيها بكرة وأصيلا» [87] وحتى وهو خارج السجن يلاحقه الرقيب ويلازمه كالظل، فهو ملاحق دائما ولا يشعر بالأمان والطمأنينة، يقول: « إلى متى ونحن لا نحس في أرضنا... في أعشاشنا بالأمان، لقد صرت أتلقى كل يوم رسالة..أنهض صباحا وأنا على يقين أن رسالة تنتظرني بفارغ الصبر تحت الباب، يتهمني أصحابها بالوقوف مع الطاغوت، ووجوب العمل معهم لإقامة الدولة الاسلامية.. ومرة يتهمني كاتبوها بأنني إرهابي مناهض للسلطة والوطن والديمقراطية، وعلي أن أتوب .» [88]

منير يمثل بحق أزمة المثقف المضطهد من قبل السلطة والمتربص به من قبل الجماعات الإرهابية. وهو محاصر نفسيا. لقد أهين وسجن، لا لشيء؛ إلا لأنه تبنى أفكارا لا تخدم هذه السلط المستبدة ولا الجماعات المتطرفة، فحكم عليه بالعيش في الهامش والظلام إلى الأبد.

- **صلاح الدين:**

هذه الشخصية تحمل مفارقة كبيرة، فالاسم يدلنا على الصلاح وجمال الروح والأفعال، كما يحيلنا إلى الشخصية البطولية "**صلاح الدين الأيوبي**" الذي حارب بسيفه الأعداء وحرر القدس، لكن الشخصية الروائية تقدم صورة معاكسة لصورة "**صلاح الدين**" الذي حارب الصليبيين. إنه يمثل الشخصية الضعيفة الجبانة

التي لا تتحمل وضعية التهميش والفقر والبؤس، فقرر الانضمام إلى الجماعة المسلحة بالجبل، متخفيا وراء ستار الدين والإسلام، جماعة تقتل الأبرياء، وتسفك الدماء، دون أدنى رحمة أو شفقة. تزرع الخوف والرعب في قلوب الناس، تقول **"الجازيه"**:

« وسمع صوت غليظ يدعو الجميع إلى الهبوط مع وضع الأيدي على الرؤوس... وبسرعة هبطنا جميعا ووقفنا نستند السيارة كتلة واحدة... وأشار الناطق إلى آخر بجواره، فهرع يفتش الجميع.. بدأ بي... دفعته عني... هرع آخر فغرز فوهته المحشوشة في رقبتي ليفسح المجال ليدي رفيقه كي تعبث في المناطق المشتهاة من جسدي، وتستقر على نهدي ولا يفطن من غيبوبته إلا على صراخ رفيقه وهو يطلب دوره في تفتيش زوجة عبد الرحيم...» (89)

فكل هذه الممارسات تحيلنا إلى اللاإنسانية وإلى العطش الجنسي والجوع المادي، فالإرهابي مريض نفسيا بالحقد والكراهية التي طمست قلبه وقتلت الرحمة فيه. يصيح **"عبد الرحيم"** مستجديا عطفهم طالبا الرحمة منهم « أنا أخوكم.. أقسم أنني بريء.. أقسم أنني لم أظلم أحدا ... أنا فقير ... أعيل خمسة أفواه .. ارحموني يرحمكم الله [....] فأطلق عليه رصاصتين إحداهما استقرت في قلبه ...والأخرى في عنقه ». (90)

"فصلاح الدين" نموذج عن الشخصيات المهمشة السلبية التي اختارت طريقا شائكا وأسودا، فتاهت في الظلام والضّلال. لجأ إلى الجبال متخفيا فيها ليمارس العنف على الكل ولينتقم، لأنه كان مقصيا ومنسيا وغارقا في الفقر والشقاء، فلما أراد الخلاص من وضعية التهميش وقع في هامش أكبر منه وأسوأ، فحكم على نفسه بالإقصاء النهائي والإعدام والموت.

« كانت المفاجأة أكبر مما كنت أتوقع ... جثة شاب مضرج بدمه ... معفر اللحية... مربوط القدمين ... مشقوق القميص مذبوح الرقبة... حتى ليكاد الرأس ينفصل عن الجسد لم يكن غريبا ... كان صلاح الدين ...» (91)

فما أحقر الطريق التي اختارها هذا الإنسان المهمش، وما أسوأ هذه العاقبة التي انتهى عليها.

يقول منير معلقا على جرائم "**صلاح الدين**" والإرهاب: «أيقدر الاخ أن يفعل بأخيه كل هذا مهما كانت الأعذار؟ إلى متى ينتهي هذا التريف » (92)

فالوضع المهّمش الذي وجد "**صلاح الدين**" نفسه فيه، ليس ذريعة لممارسة التقتيل في حق الأبرياء، إذ كان عليه أن يفكر على الأقل بطريقه إيجابية.

– **ذياب:** وهو مثال للشخصية المتعلمة والوطنية، يحب الجزائر حدّ الجنون وآثر الدفاع بقلمه عن المحرومين والمنسيين والمهمشين في كل بقعة من وطنه.

عمل بجريدة "**الشروق اليومي**" وشهر قلمه في وجه الأعداء فيتعرض للتهديد ومحاولات الاغتيال، ما تحتم عليه الاختفاء فهو محروم من العودة إلى القرية، وزيارة أهله وخطيبته ومحبوبته "**الجازية**" التي يحبها حب الوطن تقول "**الجازيه**" عنه:

«فيتوجه مباشرة إلى الفندق لإنجاز مقاله، ثم يلتحق بالجريدة منتصف النهار... أو يستمر بقاؤه فيها إلى آخر النهار... وربما إلى ساعة متأخرة من الليل، إنها مهنة المتاعب ولكنها المهنة التي أحبها ذياب منذ صغره حتى القداسة» 93 .

تقول "**الجازية**" "**لمنير**" واصفة الحالة التي يعيشها "**ذياب**": « كل شيء ضاع يا منير.. منذ تعرض ذياب لعملية اغتيال وهو يعيش مختبئا، و لم أستطع حتى أن أقابله »"(94)

كل شيىء محاصر وتحت الرقابة المستمرة، الكتابة، حرية التعبير، حرية التجمهر، غير أن "ذياب" لا يبالي ويتحدى الجميع، وينشر مقالاته، ويضرب "**امحمد لملمد**" حينما كشف للملأ فضائحه وجرائمه ضربة قاضية، « وأعادتني الجازية إلى الواقع، وهي تفتح أمامي جريدة الشروق اليومي، وقد توسطها موضع يعلوه عنوان بخط كبير "**بارون التهريب المخدرات**" تصفحت عناوينه على عجل: امحمد لملمد يتحايل على الضرائب../ رشاوي بالملايين../ شبكة مخدرات مغاربية../ وقد ذيّل الموضوع باسم كاتبه " **م ذياب**"» .(95)

فذياب ما رفع قلمه إلا ليأخذ بيد المظلومين والمضطهدين والمهمشين، وإخراجهم من الغفلة وتحريضهم على الثورة ضد المركز، والخروج من قوقعة الهامش وتنبيه

السلطات المعنية إلى ضرورة الاهتمام بالفئات المهمشة، والحد من ظلم الفئات التي تعيش في المركز مستغلة نفوذها لإيذاء الناس البسطاء.

ب- **الشخصيات الغنية**: وهي شخصيات ثرية، ذات نفوذ واسع، استغلت مناصبها في فعل الشر واستفزاز الناس أمثال: "**امحمد لملمد، وسي سليمان**".

- امحمد لملمد:

وهو ابن " حركي " عميل لفرنسا خائن لوطنه، قتله المجاهدون إبّان الثورة انتقاما ليكون عبرة لمن تسوّل له نفسه التعامل مع العدو، وهو مثال للشخصية السيئة الشريرة التي لا هم لها سوى إيذاء الناس، فهو بؤرة الفساد، استغل سلطته ونفوذه ومركزه، فراح يساوم الكل دون استثناء، فيقول: « ما معنى لثري مثلي لا يجلس على كرسي القيادة..؟ أنا ما خلقت لأملك المال فحسب..؟ بل خلقت لأقود الناس وأتزعمهم، وهذه سنة الله ولا تبديل لسنته.. وظيفة الفقراء العمل عند أسيادهم والتصفيق لهم، والائتمار بأوامرهم لا غير..»(96)، فهو بهذا يدعو إلى تركيز المركز وتهميش الهامش، وسجّل هذا الطاغية حافل بالجرائم: " **سجن منيرا، اغتصب الحلوة، قتل عزيزا، المتاجرة بالمخدرات** ..."

يصمم على إخضاع الجميع والدوس على كرامتهم، بمن فيهم أهل "**حارة الحفرة**" انتقاما لوالده الخائن الذي قتله المجاهدون.

وبقيت له "**الجازيه**" ابنة "**صالح**" التي أراد إخضاعها بكل الطرق، والزواج بها ليذل والدها لكن الجازية تصدت له بشجاعة وأنفة وكبرياء غير مبالية به وبمركزه، وبالفارق الذي بينهما. فيلجأ إلى التهديد والاستفزاز، «تنعشين قلوب الغرباء وتدعين قلبي يلفظ أنفاسه؟ لن تبرد جمراته حتى أطأك كالفحل ..وأوقّع بك صك انتصاري على أبيك الأفعى..»97، إنّ نفسيته مريضة بالحقد يقول: «يا صالح انتظرني أنا قادم.. لن يطوينا الثرى حتى أبول عليك وعلى كل من شاكلتك »(98) وأيضا قوله: «والله لأخذنّها أو لأقتلنكم جميعا أيها الأنذال» (99) إنّه مثال للشخصية الجبانة والاستفزازية، وقد صدق المثل الذي يقول: "**الجبان من يهدد**" فــ"**امحمد لملمد**"(المركز) استغل مكانته ونفوذه في إيذاء

(المهمشين) من أهل الحارة وإذلالهم وإقصائهم ساعيا إلى تكريس الشر. يقول "**منير**" عنه « شاهدت "**محمد لملمد**" يتربص بعيدا في سيارته الفارهة، وعلامات الرضى تركض على تقاسيم وجهه، وقد انهمك في تنقية أسنانه من الطعام (...) وحده الدم النازف يعزف له مواله»(100) فهنا نتأكد من قمة فظاعة ووحشية هذا الانسان المعدم المشاعر، فهو كتلة من الشر تتظاهر بالخير، ويقول عن نفسه: «أعظم حاج في الدنيا أيها المنافق، وأنا لم أحج بعد، وأنا أسكر معكم، حتى أرى الديك حمارا **!!؟**» (101)، وتستمر عجرفة هذا الطاغية، الذي راح ينشر شره بسخاء.

وازداد جبروته حينما حاول إخراج أهل الحفرة من أرضهم وهدم منازلهم، وترحيلهم إلى منطقة عمرانية أخرى، تضم بنايات غير سليمة تابعة لمقاولته يقول:

« يا أهل حارة الحفرة أنا ربكم الأعلى.» (102)

فالمركز يتلذذ بإذلال الهامش (حارة الحفرة) ويواصل قوله «ما الذي يريده هؤلاء السفلة الرعاع ؟ لقد أثبتت لهم الأيام أني الأعظم، وأني الأكفأ، وأنني قادر على شرائهم بما يملكون من أكواخ وأثاث.» (103) ويتوتر ويزداد غضبه ولا يكتفي بإذلال من هم في الهامش بل يذهب به سخطه عليهم إلى معاقبتهم أشد العقاب وهو الذبح: «لن أهدأ حتى أذبحهم واحد واحدا، سأتّصل بالوزارة **بسي سليمان**» (104)فالمركز عازم على إخضاع الهامش مهما كلفه ذلك، إلا أن "**حارة الحفرة**" (الهامش) تقف في وجهه "**محمد لملمد**"(المركز) وتحول دون مطامعه.

ونخلص إلى أن شخصية "**محمد لملمد**" نموذج للسلطة السيئة، وقد استطاع الوصول إلى السلطة ومراكز النفوذ بفضل الرشاوي والأكاذيب والحيل. وهو شخصية مريضة بالحقد والأنانية والكره والتكبّر.

-المدير:

وهو نموذج آخر من التمثيل السيئ للسلطة. استغل مركزه، وداس على شرف مهنته المقدسة، خدمة لمصالحة واشباعا لنزواته ورغباته. يقول صالح عنه:

« مديرنا هذا وطني حقا لما عينوه كان كسلك الحديد.. كأنه مستورد من إثيوبيا .. البذلة الرمادية وحدها تمشي.. اليوم صار بضخامة ثور يكاد يسقط للخلف... سرواله القديم لا يسع أصبعه» (105) ويواصل "صالح" متهكما من المدير ومن الوضع المتردي الذي آل إليه المشفى: « مديرنا إنسان وطني ضرب الرقم القياسي في احترام وقت عمله.. يدخل لمكتبه بعد العاشرة يتصفح الجرائد التي تشترى على حساب المشفى.. ويوقع الوثائق .. يطلع على المراسلات .. يرشف قهوة.. يحتضن السكرتيرة القنبلة التي اختارها بنفسه بعدما طرد السكرتيرة التي كانت قبلها.. يتفق معها على موعد السهرة ويخرج.» (106)

فالكاتب يفضح تجاوزات المركز الذي تمادى كثيرا في استغلال كل ما يقع بين يديه وذلك بسرده بعين الراوي العليم لكل ما يراه وما يعلمه يقول:« يملؤون له السيارة بخيرات المشفى.. لحوم .. خضر.. مشروبات .. عند الحادية عشر يخرج ولا يعود حتى الغد..أمّا المرضى المساكين فلا يعطى لهم إلا العدس بالماء»(107)،هذه الشخصية هي نموذج للنفاق واستغلال الآخرين. ويزداد الأمر سوءا عندما يرتقي إلى منصب وزير الصحة. ويصير نموذجا للشخصية الوصولية التي استطاعت أن ترتقي بشكل لافت في سلم الرتب، على الرغم من كل أعمالها الدنيئة.

فكلّ من "**سي سليمان**" و"**امحمد لملمد**" شخصيتان تمثلان الفساد بعينه، وتعملان على التلاعب بالقيم، ومصالح الشعب، ورغم ذلك فهما تعيشان في المركز بفضل ألاعيبهما، وما تتضمنه من تزوير ونفاق. وهما رمز للمسؤولين المستهترين، وللقيادة الفاسدة في زمن الرداءة والردة، كل هذه التجاوزات تحط من قيمة الوطن وتنزل به الى الحضيض، وتعود به إلى زمن التخلف و التقهقر.

ونخلص في النهاية إلى أن الشخصيات تشكل ثنائية ضدية تتصادم فيما بينها، فالفئة المخلصة لمبادئها وقيمها تعاني الإقصاء والتهميش إلى أن تتعرض للجنون كحال"**صالح الرصاصة**" الذي تحول إلى "**صالح المجنون**".

أمّا الفئة الانتهازية فئة "**الخونة**" الذين داسوا على كل القيم والأخلاق، فهي التي تشكل فئة المركز وتنعم بالخيرات مثل "**امحمد لمامد**"، وكذلك فئة المزيفين من المجاهدين الذين استفادوا من كل الامتيازات بعد الاستقلال، أما صانعوا الحرية فبقوا في الحضيض يعانون مع المهمشين يعيشون في مذلة وإقصاء وإهمال.

رابعا: انتفاضة الهامش على المركز

من خلال الرواية نستشف أنها عامرة بالهوامش التي تتأوه في صمت، وتحاول الانفلات وكسر حاجز الصمت، فالصراع قائم بين الفئة التي تعيش في المركز مثل:" **محمد لمامد**"و " **سي سليمان**" والفئة التي تعيش في الهامش كـــ: (**صالح، منير، جازية، ذياب، عزّيز**).

نسجل تعددية الهامش مقابل انحصار عدد المركز، فـــ: "**امحمد لمامد**" (المركز) يريد الثأر لوالده الخائن، فيهين" **صالح**" (الهامش) بكل الطرق، ويمعن في إذلاله، فيود التقرب من ابنته "**الجازية**" (الهامش) التي تتصدى له في عنف وكبرياء، ثم يغتصب "**عبلة الحلوة**"، و لم يكن السبب إشباع غريزته بقدر ما كان متعلقا بالانتقام من أهل الحارة (المهمشين)، وقتل أحلام وآمال شباب الحارة، الذين كانوا يتمنون الزواج بها ويحلمون بها في اليقظة والمنام .

بإذلال الجميع يتلذذ "**امحمد لمامد**" مبديا قوته وسطوته: « الكل تحت جبروتي... أنتم وهذا الوطن الذي ضحيتم من أجله..وهؤلاء المسؤولون الذين تهتفون لهم في الصباح والمساء كالكلاب» [108]. لقد أصبح لا يبالي بأي أحد لأنه قادر على شراء ذمم الكلّ بفضل ثرائه الفاحش وسلطته.

ويستمر" **امحمد لمامد**" في المكابرة « في طريقي لم أكن أرى الناس أمامي.. و ما كنت أحب أن أراهم .. يخيل إلي أن أياد تلوح للتحية بين حين وآخر، لكني ما كنت آبه بهم.. أولاد الكلب، كلما أمعنت في إذلالهم ازدادوا لي خنوعا، جوّع كلبك

يتبعك .. »[109]، هذا حال من يمثل السلطة والمركز فـــــ: **"امحمد املمد"** يحتل مكانة عالية منحته عنجهية وتكبر، لدرجة أنه لا يرى إلا كتلا بشرية عديمة الملامح والخصوصية. فسيطرة **"المركز"** على**"الهامش"** بارزة وواضحة بحكم قوته ونفوذه، «توقفت.. صاح فيهم بوق سيارتي .. التف الغلمان حولي .. أطلت رؤوسهم من الزجاج.. أمرك سيدنا امحمد، هكذا نطقوا دفعة واحدة، وسكتوا مبحلقين دفعة واحدة ».[110]

يعلن(المركز) قوته ويوقع صك انتصاره على**"الهامش"**. « ابتسمت مزهوا وأنا أقول كالعادة: يا أحمرة، وبصوت واحد قالوا : حاضر مولانا شبيك لبيك، كل ما تطلبه بين يديك». [111]

فـــ: "الهامش" تابع بامتياز" للمركز" تبعية خضوع ، لأن" المركز" أحكم سيطرته وقبضته على "الهامش" الذي يتسم بالضعف والفقر، فـــ**"امحمد لملمد"** " المركز" يحب إذلال الناس فالوقوف بالنسبة" للمركز" دلالة على احترام وتقديس" الهامش" له في مقابل جلوس "المركز" الذي يدل على احتلال المكان المناسب والمريح، والوقوف هو نوع من الشقاء لما فيه من بذل الجهد، وهذا الأمر مرتبط بالضواحي أو الأطراف والحواشي « فاندفع يفتح الباب ليركب .. كان الباب موصد من الداخل ، لم أشأ أن أفتحه له، وأشرت إليه أن يأتيني من الباب الآخر.. وفعلا جاء .. كنت أريده أن يبقى واقفا ليحدثني من خلال النافذة.»[112]إنه التكبر والاستعلاء ونوع من ممارسة البيروقراطية.

ونفس الموقف يتعرض له **"صالح الرصاصة"** مع المدير سي سليمان « استدعاني المدير .. دخلت .. قعدت.. زمجر في وجهي.. من سمح لك بالقعود؟ قف. » [113]

ويستمر "المركز" في تعنيف "الهامش" لتتعدد تجاوزاته: طرد صالح من العمل، اغتصاب الحلوة، اغتيال عزّيز، ملاحقة ذياب، مطاردة المثقف منير وسجنه وغيرها من الجرائم وصولا إلى محاولة طرد السكان من حارتهم" الحفرة" ، كل هذه التعديات ملأت نفوس المهمشين **"أهل حارة الحفرة"** غيضا لينفجر(الهامش) بقوة على (المركز) الذي تمادى في إخضاعه بالقوة والعنف.

فينشر" **ذياب**" مقالا بجريدة "**الشروق**"، يدين فيه تجاوزات المركز "**امحمد لمامد**" من الرشاوى إلى المتاجرة بالمخدرات .. وفور إعطاء "**امحمد لمامد**" الأوامر بإخلاء الحارة فاض أهلها " الهامش" عليه: المركز" « وثار غضب السكان ، فخرجوا يرمونه بالحجارة ثم انقضوا على مجّمعه التجاري [...] التم حولي الجميع فقد زاد سخطهم وغضبهم. »[114]

فالهامش"أهل الحارة" خرجوا من صمتهم وسباتهم ليواجهوا المركز الذي داس على حقوقهم وشردهم وجعل حياتهم مرة كالعلقم « كان السكان يدركون أنها مؤامرة في ترحيلهم وإسكانهم إيجارا في عمارات غير صالحة، بنتها مقاولة "**امحمد لمامد**"، وحاول السكان منع التقنيين من مباشرة عملهم، وهدّدهم "**امحمد لمامد**" بإحضار الشرطة، وتحت ثورة الغضب اندفع المئات إلى المركز التجاري الذي أقامه امحمد لمامد فأحرقوه عن آخره»[115]

في النهاية قرّر الهامش التخلص من المركز "امحمد لمامد" بقتله والتخلص من شره، فاتحد أهالي الحارة للانتقام من المركز الذي أداهم وأساء إليهم فثاروا عليه لإسقاطه وإبطال حكمه الطاغي، والتخلص من جرائمه الشنيعة، فيتحقق الحلم وتنفلت الهوامش من قيودها للقضاء على" امحمد لمامد" "وحين أشرقت شمس الصباح، كان الجميع يشاركون في عيد حارة الربوة، "[116] ، بعد أن خرقوا صمتهم الطويل وانتفضوا ضد المركز.

وتحررت حارة الحفرة من التهميش لتصبح " **ربوة**" وتخرج من الظلمات إلى النور ومن البدائية والتخلف إلى عالم الحضارة والتطور.

الهوامش:

[1]- عبد الكريم الجبوري: الإبداع في الكتابة والرواية، تقديم عبد الواحد محمد، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص 45.
[2]- عزالدين جلاوجي: راس المحنة، "1+1=0"، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، ط2،2004، ص58.
[3]- المصدر نفسه، ص 23.
[4]- المصدر نفسه، ص26.
[5]- المصدر نفسه، ص26.
[6]- المصدر نفسه، ص 24.
[7]- المصدر نفسه، ص 27.
[8]- المصدر نفسه، ص 58.
[9]- المصدر نفسه، ص201.
[10]-المصدر نفسه، ص 45.
[11]- المصدر نفسه، ص159.
[12]- المصدر نفسه، ص 19.
[13]- المصدر نفسه، ص20.
[14]- المصدر نفسه، ص 54
[15]- المصدر نفسه، ص 236.
[16]- المصدر نفسه، ص214.
[17]- المصدر نفسه، ص214.
[18]- المصدر نفسه، ص 214.
[19]- المصدر نفسه، ص218.
[20]- المصدر نفسه، ص192.
[21]- المصدر نفسه، ص 198.
[22]- المصدر نفسه، ص135
[23]- المصدر نفسه، ص142
[24]- المصدر نفسه، ص 238.
[25]- المصدر نفسه، ص 238.
[26]- المصدر نفسه، ص246.
[*]- هذا الإحساس لدى صالح الرصاصة يعكس زمن المحنة الذي مرت به الجزائر في تسعينيات القرن الماضي(القرن 20م)
[**]- جريدة ورقية يومية جزائرية تابعة للقطاع الخاص ظهرت بعد الانفتاح السياسي الذي أرساه المرحوم الرئيس الشاذلي بن جديد في دستور1989
[27]- عز الدين جلاوجي راس المحنة ص 208 الأسماء الواردة في هذا الإقتباس لمدن جزائرية
[28]- المصدر نفسه، ص193
[29]- المصدر نفسه، ص193

[30]- المصدر نفسه، ص177
[31]- المصدر نفسه، ص37.
[32]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[33]- المصدر نفسه، ص53.
[34]- المصدر نفسه، ص53.
[35]- المصدر نفسه، ص54.
[36]- عبد الكريم الجبوري: الإبداع في الكتابة والرواية ص45 .
*- زمن الإرهاب، عهد التسعينيات، العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين
[37]- عزالدين جلاوجي: راس المحنة، ص 46
[38]- المصدر نفسه ، ص 84
**- إلإخوة: اسم كان يطلق على المجاهدين أثناء ثورة التحرير دون التمييز بينهم مهما علت رتبهم وحتى رئيس الجمهورية أثناء الاستقلال إلى غاية التسعينيات كان يُخاطَبُ باسم الأخ الرئيس.
[39]- المصدر نفسه، ص20
[40]- عزالدين جلاوجي: راس المحنة، ص 47
[41]- المصدر نفسه، ص 48.
[42]- المصدر نفسه، ص ن
[43]- المصدر نفسه، ص 43
[44]- المصدر نفسه، ص 48.
[45]- المصدر نفسه، ص 19-20
[46]- المصدر نفسه، ص 20.
[47]- المصدر نفسه، ص140.
[48]- المصدر نفسه، ص 78 و80
[49]- المصدر نفسه ، ص 80.
*- نانًا: جدتي (في اللهجة الجزائرية)
[50]- المصدر نفسه، ص 112-113
[51]- المصدر نفسه، ص113
[52]- المصدر نفسه، ص 134
[53]- المصدر نفسه، ص 205،206
[54]- المصدر نفسه، ص115
[55]- المصدر نفسه، ص 115
[56]- المصدر نفسه، ص 57
[57]- المصدر نفسه، ص126
[58]- المصدر نفسه، ص 126
[59]- المصدر نفسه، ص 35.
[60]- المصدر نفسه، ص 33.
[61]- المصدر نفسه، ص.35

[62]- المصدر نفسه، ص35
[63]- المصدر نفسه، ص54.
[64]- المصدر نفسه، ص61.
[65]- المصدر نفسه، ص 61.
[66]- عبد الحميد هيمة: سيميائية الشخصية النسوية في رواية رأس المحنة لعزالدين جلاوجي، جامعة قاصدي مرباح، محاضرات الملتقى الرابع، السيمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية،2006، ص 125.
[67]- عزالدين جلاوجي: رأس المحنة، ص 125.
[68]- المصدر نفسه، ص 127.
[69]- المصدر نفسه، ص 258.
[70]- المصدر نفسه، ص 259.
[71]- المصدر نفسه، ص 260.
[72]- المصدر نفسه، ص 260.
[73]- المصدر نفسه، ص110.
[74]- المصدر نفسه، ص 110
[75]- المصدر نفسه، ص 110.
[76]- المصدر نفسه، ص 114.
[77]- المصدر نفسه، ص 115.
[78]- المصدر نفسه، ص 117.
[79]- المصدر نفسه، ص 263
[80]- المصدر نفسه، ص205.
[81]- المصدر نفسه، ص80.
[82]- المصدر نفسه، ص102-103.
[83]- المصدر نفسه، ص 79.
[84]- المصدر نفسه، ص 196.
[85]- المصدر نفسه، ص 196.
[86]- المصدر نفسه، ص 177.
[87]- المصدر نفسه، ص 178.
[88]- المصدر نفسه، ص 134.
[89]- المصدر نفسه، ص152.
[90]- المصدر نفسه، ص 152.
[91]- المصدر نفسه ، ص230.
[92]- المصدر نفسه، ص.231
[93]- المصدر نفسه ، ص 231
[94]- المصدر نفسه، ص 226
[95]- المصدر نفسه، ص 255.
[96]- المصدر نفسه، ص196.
[97]- المصدر نفسه، ص108.

[98]- المصدر نفسه، ص 109.
[99]- المصدر نفسه، ص 97.
[100]- المصدر نفسه، ص 231.
[101]- المصدر نفسه، ص 197.
[102]- المصدر نفسه، ص 197.
[103]- المصدر نفسه، ص 248.
[104]- المصدر نفسه، ص 249.
[105]- المصدر نفسه، ص 37.
[106]- المصدر نفسه، ص 37.
[107]- المصدر نفسه، ص 37.
[108]- المصدر نفسه، ص 90.
[109]- المصدر نفسه، ص 91.
[110]- المصدر نفسه، ص 95.
[111]- المصدر نفسه، ص95.
[112]- المصدر نفسه، ص 96.
[113]- المصدر نفسه، ص 35.
[114]- المصدر نفسه، ص 248.
[115]- المصدر نفسه، ص 250.
[116]- المصدر نفسه، ص 264.